جميع الوجوه الجواب بعد تسليم حكم العقل بالحسن والقبح ووجوب الغرضية افعاله تعالى فغايته اى غاية ما ذكرتم
عدم الوقوف على الحكمة فى تلك الصور المذكورة ولا يلزم منه عدمها فى نفس الامر ولعل هناك مصلحة استأثر
الله تعالى بها على ان فى التعبد بما لا يعلم حكمته تطويعا للنفس الابية وملكة فهو اى نصوع غلبتها الثانى فيما
فيه الحكمة وزيادة ابتلاء فى التعرض للثواب او العقاب بعمل النفس اذ اعلم الحكمة والمصلحة فى حكم انقاد
له لاجل تلك المصلحة لا لمجرد امتثال حكم مولاه وسيده وكان عندئذ تاما انقيادا فى رسوخ العلم فيها
صار سببا لذلك بنفسها فاذا تعبدت بما لا يعلم حكمة كان انقيادها امتثالا له محضا واكثر سودتها
واجابوا الثالث لما بينا على حكمة وابطلة التعبد زيادة ابتلاء فى التكليف فان النفس تأبى عما لا تعلم
مصلحة وكلا فى التكاليف مصلحة حاصلة فى الاحكام التعبدية ومعلوم لنا فلا يلزم خلو تلك الصور عن الحكمة
والمصلحة المعتد بها المعلومة المقصد الرابع فى اثبات نبوة محمد عليه الصلوة والسلام فيه مسلك المسلك
الاول فيه هو العمدة انه ادعى النبوة واظهر المعجزة على يده اما الاول فمتواتر تواترا لحقه بالعيان والمشاهدة
فلا سبيل الى انكاره فيها واما الثانية فمعجزة القرآن وغيره الكلام فى القرآن وكونه معجزا انه تحدى به
لم يعارض فكان معجزا اما انه تحدى به فقد تواتر تواترا لم يبق فيه شبهة وايات التحدى كثيرة كقوله تعالى فأتوا
بحديث مثله وقوله تعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله واما انه لم يعارض
فلانه لو عورض لتواتر لانه مما يتوفر الدواعى الى نقله سيما والخصوم اكثر عددا من حصى البطحاء واحرص
الناس على اشاعة ما يبطل دعواه واما انه معجز اى حين اذ تحدى به فلم يعارض يكون معجزا فلما مر فيما سبق
من بيان حقيقة المعجزة وشرائطها والكلام على هذه الطريقة سؤالا وجوابا يعلم من الفصل المتقدم فان
الشبه التى اوردها منكروا البعثة يمكن ايرادها ههنا واجوبتها يعلم من هناك ايضا فلا حاجة بنا الى الاعادة
والكلام الآن فى وجه الاعجاز وفى تفسير الفاد حين فيه فى فصلين الاول فى وجه اعجازه وقد اختلف فيه على مذاهب
فقيل هو ما اشتمل عليه من النظم اى التأليف الغريب والاسلوب العجيب المخالف لنظم العرب ونثرهم فى مطالعه اى
اوائل السور والقصص وغيرها ومقاطعه اى اواخرها وفواصله اى اواخر الآى التى هى بمنزلة الاسجاع فى كلامهم
فان هذه الامور المذكورة وقعت فى القرآن على وجه لم يعهد فى كلامهم وكانوا عاجزين عنه وعليه بعض المعتزلة
وقيل وجه الاعجاز كونه فى الدرجة العالية من البلاغة التى لم يعهد مثلها فى تراكيبهم وتقاصرت عنها درجات
بلاغاتهم وعليه الجاحظ واهل العربية ثم انهم قالوا فى تفسير البلاغة عبارات مختلفة احسنها قولهم البلاغة
التعبير باللفظ الرائع اى المعجب لخلوصه عن معايب المفردات وتأليفاتها واشتماله على محاسنها عن
المعنى الصحيح اى المناسب للمقام الذى اورد فيه الكلام بلا زيادة ولا نقصان فى البيان والدلالة عليه وعلى

هذا

هذا فكلما ازداد شرف الالفاظ ورونق المعانى ومطابقة الدلالة كان الكلام ابلغ وهل هى اى البلاغة
متناهية اختلفوا فيه والحق ان الموجود منها متناهية له تناهيا وافعة تلك الالفاظ الشريفة الدالة على المعانى
الصحيحة ولا شك ان الموجود من تلك الالفاظ فى اللغات متناه دون الممكن من مراتبها فانه غير متناه
اذ لا يبعد وجود الفاظ هى افصح من الالفاظ الواقعة واشد مطابقة لمعانيها فيكون اعلى رتبة فى البلاغة
الى ما لا نهاية ثم ان اصل البلاغة فى القرآن متفق عليه لا ينكره من له ادنى تمييز ومعرفة بصياغة الكلام واما كونه
فى الدرجة العالية عن المعتاد فبهذا القدر يحصل الاعجاز الذى هو مطلوبنا ولا حاجة بنا فى اثبات اعجازه
الى بيان انه الغاية القصوى فيها اى فى المراتب الممكنة من البلاغة فلذا اى ولما كونه فى الدرجة العالية الخارجة
عن العادة فثابت لان من تتبع القرآن من العارفين بالبلاغة وجد فيه فنونها باسرها من افادة المعانى
الكثيرة باللفظ القليل ومن ضروب التأكيد وانواع التشبيه والتمثيل اى ضرب التمثيل واصناف الاستعارة
وحسن المطالع والمقاطع من الكلام وحسن الفواصل والتقديم والتأخير والفصل والوصل اللائق بالمقام
وتعريه اى خلوه عن اللفظ الغث اى الركيك والشاذ الخارج عن القياس والنادر النافر عن الاستعمال
الى غير ذلك من انواع البلاغة بحيث اى وجده مشتملا على فنون البلاغة بحيث لا يرى المتصفح له اى للقرآن
وتراكيبه المتميز بين فنون البلاغة نوعا منها اى من تلك الفنون الا وجده فيه احسن ما يكون فالقرآن مشتمل على
جملتها لم يغادر شيئا منها ولا يقدر احد من البلغاء الواصلين الى ذروة البلاغة من العرب العرباء وان
استفرغوا وسعهم وطاقتهم ان يأتوا بكلام يعادل نوعا او نوعين منه اى من المذكور الذى هو فنون البلاغة
ودفع لوازم غيره اى غيره لكل نوع ولم يأتوا به اى لم يوافقوا ولم يأتوا به فلا الا كما مدى ان افصح فصيح من العرب
وابلغ بليغ من اهل الادب من ارباب النظم والنثر والخطب غاية الاستار يتنوع واحد من انواع البلاغة
على وجه لوازم غيره كله مما وا باه وكان فيه مقصرا والقرآن محتو عليها كلها ومن كان اعرف بالعربية اى لغة
العرب وفنون بلاغتها كان اعرف باعجاز القرآن المنوه على بلاغته قال القاضى الباقلانى هذا اى وجه
اعجازه بمجموع الامرين اى النظم الغريب وكونه فى الدرجة العليا من البلاغة وقيل هو اخباره عن الغيب
نحو وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين اخبر عن غلبة الروم على الفرس فيما بين الثلث الى التسع
فوقع كما اخبر وذلك كثير يعرفه من يتتبع القرآن واخباره عن الامور المستقبلة الكائنة على وفقها
وقيل وجه اعجازه عدم اختلافه وتناقضه مع ما فيه من الطول والامتداد وتمسكوا فى ذلك بقوله تعالى
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقيل الصرفة على معنى ان العرب كانت قادرة
على كلام مثل القرآن قبل البعثة لكن الله تعالى صرفهم عن معارضته واختلف فى كيفية الصرف فقال الاستاد

Copyright © King Saud University